

كان سهلا فأثرى الدنيا أ.د. لطيفة حسين الكندري

أثناء تداول قضية طلاق نزل القاضي من منصته ليحتضن طفلا يبكي، بعد أن تم تخيره بين حضانة الأم أو الأب. لقد قرأتُ هذا الخبر الصاعق وقلت كيف وصل الأمر لهذا الحد، وهل يحق للمحكمة أن تضع الطفل في هذا الموقف المحرج على هذا النحو؟ لا شك في أن غياب السماحة وحسن المعاملة في الحياة الزوجية وفي مرحلة التسريح بإحسان قضية واجبة التداول لتطوير التشريعات وآلياتها وتغيير المفاهيم الخاطئة التي تمزق كيان الأسرة، وتكسر قلوب الأطفال.

تجبرنا دموع الأطفال اجبارا على مراجعة الأحوال، وإعادة الفاعلية للحياة الزوجية عبر تحصين المجتمع من ويلات الظلم والقسوة وانعدام التسامح. تقتضي الحياة الزوجية طاقة عالية وقدرا كبيرا من القابلية الدائمة للتحمل المتجددة بلباس التغافل لإصلاح الأمور بخطوات هادئة، وئيدة سديدة. الصبر من لوازم الحياة، ومن عزم الأمور.

إن الزوج اللطيف الحصيف ليس بالفظ ولا الغليظ ويلبي حاجيات زوجته بلا تعنت فيطاوعها في تلبية رغباتها المشروعة العادلة، وفي المقابل عندما تكون شريكة الحياة لينة الجانب، صاحبة شمائل كريمة تجدها عاقلة في مطالبها، وحكيمة في مسالكها، تبذر في أرض بيتها بذور الفضيلة التي ستثمر الحياة الطيبة. ومن الثابت في كتب الحديث النبوي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان رجلاً سهلاً، إذا هَوَيْتَ -السيدة عائشة رضي الله عنها - الشيء؛ تابعها عليه. وهكذا كان الحبيب صلى الله عليه وسلم سهلاً سمحاً وخير الناس لأهله فأثرى الدنيا عدلا وجمالا.

للأسف ومنذ زمن بعيد استقرت مفاهيم مغلوطة في أذهان كثير من الناس عن قيم الرجولة والقوامة حتى آمن بعضهم بأفكار فتاكة

بالأمن الأسري من مثل مشاورة النساء ومخالفتهن، والحذر منهن على نحو مريب، وأن الويل والثبور لمن أطاع امرأته. والعجيب أن هذا الاعوجاج في النهج الاجتماعي يكاد أن يكون راسخا في ممارسات البعض بل حتى في أذهان بعض النساء عبر القرون. إن الأفكار المسمومة المتأصلة في الثقافة السلبية تعج بالموروثات البالية وهي - في حقيقة الأمر - لا تقل خطورة عن المياه الملوثة بل هي أخطر بكثير لأن الأمم الوارثة للجهل، المحرومة من الفضائل تُصدر الجهل وتصيح وصية على ترسيخه في عقول الناشئة وضمايرهم.

من العسير غالبا تغيير الطباع وتبديل المعتقدات ولكن مسيرة الإصلاح ستنتصر خاصة إذا آمنا بضرورتها لفتح أبواب الخير من جهة، وإغلاق أبواب الشر من جهة أخرى. الإنسان الحكيم الهين اللين تنقاد له الحياة وتستقيم له الدنيا بالمكاسب.

إن السماح استنارة في التعامل والصدقة والزواج والشراء والبيع والقضاء والتعليم والعلاج والخلاف والطلاق وهي فوق ذلك كله ابنة الاستقامة. السماح من لوازم حفظ الأطفال من غول الغلظة وحماية كرامتهم، وهي اليوم أولوية لا سيما في حال وقوع الطلاق الوعر. إن أخذ الأطفال للمحاكم والمخافر مسألة مجتمعية عاجلة تحتاج إلى وقفة جادة، ودراسة شجاعة، وقرارات تجديدية جريئة.

dr.latefah@yahoo.com

@dralkandery